

اب) طريقة التلقى وعلاقتها بجمهور الأدب

أولاً - الفن الأدبي المسموع :

لو افترضنا بدايةً أن عشاق الفن الموسيقى فرضت عليهم التغيرات العالمية أن يستقبلوا هذا الفن مقروءاً بدلاً منه مسموعاً، فماذا تكون الحال؟

ولو تصورنا أن رساما قدم فنه إلى الجمهور معتمداً على الكلمة بدلاً من الخطوط والألوان، فكيف تكون علاقته بالمتلقى؟

أغلب الظن أن النتيجة الطبيعية لمثل هذه الطريقة هي أن يفقد الجمهور أسباب التواصل مع الفنان؛ لأن الفن لم يقدم إليه باللغة التي تناسبه، وهي اللغة التي تحرك في المتلقى دواعي الحس، الذي يستقبل به إيقاع الفن المسموع، أو جماليات الفن المرئي... صحيح أن الموسيقى والرسم لهما قواعد ونظريات مكتوبة وخاضعة للقراءة. وكل فن من الفنون له جانبه النظري المعتمد على الكلمة. ولكن المقروء - في هذه الحالة - لا يسمى فناً، ولا يكون صاحبه أو متلقيه فناً.

والفن الأدبي - كذلك - له أسبابه وطرائقه في التواصل مع جمهوره. فهو منذ بداياته الأولى - ولدى جميع الأمم - لم يكن فناً مقروءاً، بل كان يعتمد على السماع في نثره وشعره، ففي النثر كانت الخطابة أبرز مظاهره عند العرب واليونان. وهي بطبيعتها فن يتوجه به الخطيب إلى جمهور المستمعين لا القراء.

وربما فقدت قيمتها الفنية إذا تحولت إلى فن مقروء؛ ولهذا كانت الجنس الأدبي الوحيد الذي لم يخضع - في جملة أحواله - لنظريات القراءة والتلقى كما خضعت لها بقية الأجناس في عالمنا المعاصر.

أما الشعر فقد نشأ عند اليونان مرتبطاً بتلك الطقوس التي كانت تقدم إلى الآلهة وكانت هذه الطقوس عبارة عن رقصة مشفوعة بغناء^(١). أما عند العرب فقد كان الشعر مهوى أفئدة العامة والخاصة، يحتشدون له في أسواقهم ومنتدياتهم. وسواء أنشأ عندهم مرتبطاً بفن الغناء أم نشأ فناً كاملاً مستقلاً عن الفنون الأخرى - كما يقول العقاد -^(٢) فهو في كلتا الحالتين كان إيقاعاً مسموعاً، حتى في عصور الكتابة والتدوين.

(١) الأساطير - د. أحمد كمال زكي - ص ٦٨ وما بعدها .

(٢) اللغة الشاعرة ص ٢٦ - ٣٤ .

